صريحاً في التعبير عن افكاره راغباً في الوقوف على الحقائق شديد الاهتمام بما يعلي شأن قومه لا شيء فيه من انصاف والدعوى كما يكون كبار انسانة عادة . وقد عرفت المدارس الجامعة فضله ولو لم يدرس فيها فمنحته جامعة اكسفرد وجامعة كيمبردج لقب دكتور في الشرائع

وكانت وفاته في ٢ يوليو الماضي بداء السكتة واحتفل بدفنه في السادس منه وابنته وزراء الانكليز وصحفهم وصحف اوربا واميركا والمستعمرات وكتبوا فيه الفصول الطوال

الشفاء بلا دواء

كان للطبيب والكاهن والساحر مقام رفيع عند الاقدمين بل كان هؤلاء الثلاثة واحداً فان الساحر كان كاهناً وطبيباً . اي قام في فجر التاريخ وقبله الناس ادّعوا ان لما يقع للانسان من صحة ومرض ولما يصيبه من فوز وفشل اسباباً غير منظورة وان الكاهن والساحر والطبيب يستطيعون الوصول اليها وجلبها او دفعها وقد يخيل ان الذين ادعوا هذه الدعوى استنبطوها استنباطاً لاجل السيادة او الكسب ولكن الاقرب الى العقل انهم رأوا الامور تنقاد اليهم احياناً فاذا سحروا رجلاً قصد نفعه او ضره انتفع او تضرر واذا توسلوا الى معبود ولو حجراً او شجراً لكي ينفع رجلاً او يضره نال ذلك الرجل ما طلبوه له . واذا تفرّسوا في رجل بدا لهم من ملامحه ما ينطوي عليه ضميره كأنهم قرأوا في صفيحة وجهه اسرار الغيب ولهذا كان للطبيب والكاهن والساحر شأن عظيم عند كل الامم لاعتقادهم ان لهم اتصالاً بعالم الغيب وسلطة على القوى التي لا ترى

ولا يخفى ان هذا الاعتقاد باقٍ الى الآن وانه يحدث من الحوادث كل يوم ما يعززه ولو قامت الادلة الجلية على فساده لا لان الحوادث التي تحدث مكذوبة بل لان اسبابها غير ما يُظن

كنا اذا ذُكرت لنا حادثة من هذه الحوادث كأن قيل ان فلاناً عُلّق حجاباً او شرب ماء او زار ضريحاً فشفي من مرض اعتراه نفسّر ذلك إما بان المرض كان وهماً فزال بوهم مثله او بانه كان خللاً في فعل بعض الاعصاب فأصلح بفعل عصبي آخر ناتج عن الاعتقاد . واما المرض الفعلي المسبب عن آفة في جوهر الاعضاء لا عن خلل في وظيفتها فلا يزول بهذه الوسائل وامثالها . فاذا دخل ميكروب السل الرئتين وافسد جانباً كبيراً منهما فلم يبق منهما ما يكفي للتنفس وتطهير الدم واذا ما السرطان في المعدة واتلف بناءها حتى لم تعد تستطيع هضم الطعام واذا دخل ميكروب التيفويد الامعاء واكل جدارها وخرقها واذا مرّت خردقة

في العين فتفأتها او وقع سيف على ذراع فقطعها فكل الاعجبة والاشرحة والمياه المقدسة لا تصلح رئة أكلها السل او معدة اتلفها السرطان او مخ خرقة التيفويد او عيناً فقأها اخرق او ذراعاً قطعها السيف

ولكن اذا تأثر العصب المعدي بمؤثر ما ولو موهوماً فشعرت المعدة كما تشعر حينما يدخلها جسم غريب وحاولت دفعهُ بالقيء فما يزيل ذلك التأثير من العصب يبطل القيء . والمؤثر الموهوم يفعل بالاعصاب كالمؤثر الحقيقي مثال ذلك انك اذا رأيت رجلاً هجم يقصد ضربك بعصاهُ على رأسك فانك تحاول استلقاءها بيدك ومنع وصولها الى رأسك وتفعل ذلك ولو علمت تمام العلم انهُ لا يقصد ايصال العصا اليك . فالخوف من العصا هنا وهمي ولكنهُ فعل الحقيقة . ومعلوم ان جانباً كبيراً من الامراض حاصل من انحراف او خلل في وظائف اعضاء الجسم لا في جوهرها وهذا الانحراف وهذا الخلل يزولان من نفسهما لاسباب نفسية او وهمية كما يحدثان لاسباب نفسية او وهمية . ومعلوم ايضاً ان نوع الانسان لم يبق الى الآن بعد ان اثابتهُ عوادي الادواء اثوفاً كثيرة من السنين من غير ان تقرضهُ كما قرضت غيرهُ من انواع الحيوان الا لان فيهِ قوى داخلية قاومت هذه العوادي وتغلبت عليها . واخص هذه القوى خلايا الدم البيضاء فانها اذا رأت عدداً من الميكروبات الغارة دخل الجسم هجمت عليهِ حالاً واكلتهُ . وهي تزيد وتنقص وتقوى وتضعف تبعاً للمؤثرات النفسية هذا ناهيك عن ان كل اعضاء الجسم تعمل على وقايتهِ من تلقاء نفسها فاليد التي تحاول دفع السيف عن رأسك تفعل فعلها من غير ان تنتظر منك ان تأمرها بدفعهِ وجفن عينك الذي يرمش و ينطبق حالما ترى شيئاً مقبلاً عليها انما يفعل ذلك من نفسهِ . وقصبة الرئتين تضطرك الى السعال ونفث ما تخشى ان يدخلها و يؤذيهما ولو رغماً عنك . والكليتان تفرزان السموم الذائبة في الدم والرئتان تطهرانهِ من الغازات السامة . وقس على ذلك سائر الاعضاء فان لكل عضو منها عملاً خاصاً لفائدة الجسم . وهي قد تسرع في عملها او تبطئ فيهِ وتحسنهُ او تسيئهُ تبعاً لحالة الاعصاب المسيطرة عليها او لحالة العقل الباطن الذي شرحنا فعلهُ غير مرة فلا عجب اذا كانت حالة الانسان العصبية النفسية تؤثر فيهِ تأثيراً يمرضهُ او يشفيهِ و يضعفهُ او يقويهِ

اصيب كاتب هذه السطور قبيل كتابتها بقيء وامهال شديدين إما من برد اصابهُ ليلاً ففسد الطعام في معدتهِ وامعائهِ فحاولت دفعهُ لئلا يؤذيها وإما لان معدتهُ وامعاءهُ شعرت ان الطعام فيها فاسد فدفعتهُ ولو لم يكن كذلك . والعادة في مثل هذه الحال ان يُعطى المصاب مسهلاً لكي يزيد تهيج معدتهِ وامعائهِ فتقذف كل ما فيها باسرع ما يمكن . اما نحن

فرأينا ان قناتنا الهضمية قائمة بما يُطلب منها من غير مهيج آخر وفي خروج الى السكن منها الى المهيج فخالفنا شور الطبيب واكتفينا بشرب الماء البارد وبعد ساعتين من الزمان انقطع القيء وبعد نحو خمس عشرة ساعة انقطع الاسهال وزالت الحمّى الخفيفة التي صحبتهُ وعدنا الى الصحة التامّة اي ان اعضاء الجسم عالجت نفسها ثم اصابها بدفع ما خافت اذاهُ سواء كان فيها شيء مؤذٍ حقيقةً او لم يكن . هذه شأننا كلما اصابنا توعُّك فانا نترك اعضاء الجسم تطبب نفسها . ولا شبهة ان كثيرين من الذين يشفون من غير دواء انما يكون شفاؤهم على هذا النمط

وقد نشر الآن كاتب انكليزي مشهور اسمهُ ايتون ستكلر مقالةً تدخل في هذا الباب موضوعها الشفاء بوضع الايدي قال فيها انهُ زار في الصيف الماضي احد اصدقائهِ في مدينة لندن واتفق ان زار هذا الصديق ايضاً حينئذٍ سيدة تدّعي انها تشفي المرضى بمعالجتهم معالجة عقلية من غير دواء وقد اشتهرت بذلك وكسبت مالاً طائلاً . وكان صاحب البيت معرَّضاً للصداع بصيبهُ من وقت الى آخر فيقيم يوماً او يومين وهو في اشد الالم وكان قد جرَّب كل انواع الادوية والعلاجات فلم تجدهُ نفعاً وكنا معهُ بدواء جديد احضرهُ واستعملهُ على غير جدوى حتى امتلأ بيتهُ بالعقاقير الطبيَّة . ثم بلغهُ خبر هذه الطبيبة فاستدعاها فوضعت يديها على رأسهِ ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى زال الصداع منهُ . واصيبت زوجتهُ بصداع شديد انهكَ قواها فاستدعت هذه الطبيبة فانتها وعالجتها بوضع يديها عليها فزال الصداع منها فقالت في نفسها لعلي انا ايضاً استطيع ذلك فلما عاد زوجها الصداع وضعت يديها على جبينهِ فزال الصداع منهُ فجرَّبت ذلك في غيرهِ فوجدت انها تشفي المصابين بالوجاع مختلفة على اسهل سبيل

قال الكاتب وكانت زوجتي معي في هذه الزيارة وهي مصابة بضعف عصبي شديد على اثر سقطة فذهبت الى هذه الطبيبة فعالجتها وعادت وهي تقول انها انتفعت منها كثيراً

والضيوف معرضون للتخمة لكثرة ما يقدَّم لهم من الطعام الشهي والتخمة تسبب الصداع ويتعذر على الضيف ان يداوي نفسهُ بالصوم . فاصابتني تخمة تبعها صداع شديد فذهبت الى هذه الطبيبة لاجرب فعلها في فجلستني على كرسي ووقفت ورائي ووضعت اصابعها على صدغي وامرتني ان لا افكر بشيء بل اسلم نفسي لها واعتقد انها قادرة على شفائي وجعلت تقول لي ان فيَّ قوًى طبيعية قادرة على شفائي وهي تمسّد صدغي باصابعها وتتكلم بصوت رخيم ودامت على ذلك بضع دقائق ولكن الصداع بقي على شدتهِ . واخيراً قال اني لم افعل كما امرتني بل كنت افكر وهي تمسّد صدغيَّ بما يذاع عني اذا شفيتني . فقلت لها ان جندي سميك لا يؤثر فيهِ علاج لطيف مثل هذا وعدت الى البيت وقد زاد الصداع شدةً . فقالت لي

زوجتي دعني امسّد رأسك كما مسّدتهُ الطبيبة فقلت لها افعلي فمسدتهُ وزال الصداع حالاً

ومضت الايام واضطررت ان اشتغل شغلاً عقليًّا شاقًّا فاصبت بسوء الهضم والصداع فالارق ولما لم يتيسّر لي ان انقطع عن الشغل كانت زوجتي تقول لي اجلس لاعالجك فاجلس وتمسّد رأسي فيزول الارق والصداع وسوء الهضم . ثم صارت هي تصاب بهذه الادواء كأنها انتقلت مني اليها ولا خير في علاج ينقل الداء منك الى زوجتك فابطلنا هذا التداوي وتركت الشغل ولجأت الى الصوم . وبعد مدة كنا مسافرين بسكة الحديد سفراً طويلاً شاقًّا فشكت زوجتي من صداع اليم جدًّا وهي لا تشكو الاّ اذا برّح بها الالم . فذعرت وقلت لها هلمي اعالجك كما كنت تعالجينني واجلستها ووضعت يدي على جبينها وعزمت عزماً اكيداً على ان ازيل الالم منها فلم يكن الاّ دقائق قليلة حتى نعست ونامت فتركتها وذهبت الى مركبة الطعام واستيقظت في غيابي وعاودها الصداع وكان شديداً جدًّا بحيث كادت تطرح نفسها من شباك المركبة كما اخبرتني بعد ذلك . ولما عدت اليها حاولت معالجتها ثانية ولم يكن الاّ خمس دقائق حتى زال الصداع تمامًا

واصيبت بعد ذلك بالم في احد اضراسها واشتدّ الالم عند نصف الليل حتى تعذّر عليها احتمالهُ فذهبت بها الى طبيب الاسنان فقال ان لا بدّ من قلع ذلك الضرس لانهُ متقرح ولا بدّ من طبيب آخر معهُ ليخنقها الغاز المنوم وكانت تخشى من استنشاق الغاز لضعف اعصابها فاحتملت الالم كل ذلك الليل وذهبنا الى لندن في اليوم التالي وكان يوم سبت فوصلناها متأخرين والظاهر ان اطباء الاسنان يغادرونها حينئذٍ فاضطرّت ان تحتمل الالم بقية ذلك اليوم ويوم الاحد وقد جلست في غرفة مظلمة تبكي من شدّته . واخيراً خطر ببالي ان اعالج ضرسها كما اعالج صداعها فوضعت يدي على المكان الذي فيهِ الضرس وعزمت عزماً اكيداً ان ازيل الالم منهُ فستريح وتنام فلم يكن الاّ قليل حتى نامت فتركتها وانسللت من الغرفة وبعد ساعة سمعتها تئن لانها استيقظت وقد عاودها الألم فعدت اليها وعالجتها ثانيةً وبعد قليل جلست منتصبة وقد ابرقت اسرتها وهي تقول زال الالم . وقد زال حقيقة ولم يعُد في اليوم التالي رأيتها تعلك علكاً على ذلك الضرس عينهِ

وقد فسّر الكاتب ذلك بان عقلهُ الباطن اثر في عقل زوجتهِ الباطن وهذا اثر في اعصابها فابطل شعورها بالالم فهو مثل البنج وسائر المنومات التي تزيل الشعور بالالم او مثل لاستهواء الذي يزيل الشعور كما لا يخفى ولكن هل زوال الشعور بالالم يزيل سبب الالم ايضاً . والظاهر من بعض المشاهدات ان سبب الالم قد يزول ايضاً